

الباب الأول

أحداث ما قبل البعثة

الفصل الأول

نسب الرسول صلى الله عليه وسلم ومكانته في قومه

قال الإمام البخاري رحمه الله: « هو أبو القاسم ، محمد بن عبدالله ، بن عبدالمطلب ، بن هاشم ، بن عبدمناف ، بن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لؤي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك بن النضر ، بن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن إلياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان»^(١) .

وقال البغوي في شرح السنة بعد ذكر النسب إلى عدنان: « ولا يصح النسب فوق عدنان »^(٢) .

وقال ابن القيم: بعد ذكر النسب إلى عدنان أيضاً: « إلى هاهنا معلوم الصحة ، متفق عليه بين النساين ، ولا خلاف ألبة ، وما فوق عدنان مختلف فيه ، ولا خلاف بينهم أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام»^(٣) .

وقد جاء عن ابن سعد في طبقاته: « الأمر عندنا الإمساك عما وراء عدنان إلى إسماعيل »^(٤) .

وعن عروة بن الزبير أنه قال: « ما وجدنا من يعرف ما وراء عدنان ولا

(١) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار: باب مبعث النبي ﷺ فتح الباري: ١٦٢/٧ ، قبل رقم: ٣٨٥١ ، شرح السنة: ١٩٣/١٣ ، الذهبي: السيرة النبوية: ص ١

(٢) شرح السنة: ١٩٣/١٣

(٣) زاد المعاد: ٧١/١

(٤) ابن سعد: ٥٨/١

قحطان إلا تخرصاً «^(١) .

قال الذهبي رحمه الله في كتابه السيرة النبوية: « وعدنان من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام بإجماع الناس ، لكن اختلفوا فيما بين عدنان وإسماعيل من الآباء »^(٢) .

أما عن نسبه عليه السلام في قومه فقد كان في خيرهم قبيلة ، وكان أشرفهم أرومة كما جاء في الصحيح من حديثه عليه الصلاة والسلام:

١- فعن وائلة بن الأسقع رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال:

(إن الله - عزَّ وجلَّ - اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من بني إسماعيل كنانة ، واصطفى من بني كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم)^(٣) .

٢- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثتُ من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً ، حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه)^(٤) .

٣- ومن حديث عبدالمطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب قال: أتى أناس من الأنصار إلى النبي ﷺ فقالوا: إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم إنما مثل محمد مثل نخلة نبتت في كباء^(٥) ، فقال رسول الله ﷺ: (أيها الناس من أنا؟ قالوا أنت رسول الله ﷺ) . قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب - قال فما سمعناه ، قط ينتمي قبلها - إلا إن الله - عزَّ وجلَّ - خلق خلقه ، فجعلني من خير خلقه ، ثم فرقهم فرقتين ، فجعلني من خير الفرقتين ، ثم جعلهم قبائل ، فجعلني من خيرهم قبيلة ، ثم جعلهم بيوتاً ، فجعلني من خيرهم بيتاً ، وأنا

(١) ابن سعد: ٥٨/١

(٢) الذهبي في السيرة النبوية: ص ١

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل: باب فضل نسب النبي ﷺ ، رقم: ٢٧٧٦ ، شرح السنة: ٣٦١٣ ، والترمذي في سننه ، أبواب المناقب: باب ما جاء في فضل النبي ﷺ ، رقم: ٣٦٠٦ وقال حسن صحيح ، انظر الفتح الرباني: ١٧٩/٢٠ ، وانظر أحمد في المسند: ١٠٧/٤ ، والخطيب في تاريخ بغداد: ٦٤/١٣

(٤) أخرجه البخاري في المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، رقم: (٣٥٥٧) ، وأحمد في المسند: ٣٧٣/٥ ، ٤١٧ وابن سعد: ٢٥/١ .

(٥) الكباء: الكناسة .

خيركم بيتاً ، وخيركم نفساً^(١) .

٤- ومن حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: (أتيت رسول الله ﷺ في وفد ، ولا يروني إلا أفضلهم ، فقلت: يا رسول الله ! ألستم منا ؟ فقال: (نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفو أمتنا ، ولا ننتفي من أيننا) فكان الأشعث يقول: « لا أوتى برجل نفى قريشاً من النضر بن كنانة إلا جلدته الحد »^(٢) .

٥- ومن حديث أبي سفيان رضي الله عنه حين سأل هرقل وقال له: « كيف نسبه فيكم ، قلت: هو فينا ذو نسب » .

وقول هرقل: « وسألتك عن نسبه ، فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها »^(٣) .

(١) أخرجه الترمذي في أبواب المناقب: باب ما جاء في فضل النبي رقم ٣٦٠٧-٣٦٠٨ ، وأحمد في المسند: ١٦٦/٤ ، من طريق عبد الله بن الحارث بن نوفل به ، وقال الهيثمي في المجمع: ٢١٥/٨ - ٢١٦: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». والحديث صحيح .

(٢) أخرجه ابن ماجه في الحدود: باب من نفى رجلاً من قبيلة: ٢٦١٢ ، وأحمد في المسند: ٢١١/٥ ، ٢١٢ من طريق حماد بن سلمة ، عن عقيل بن طلحة السلمي ، عن مسلم بن هيصم ، عن الأشعث بن قيس به ، وقال البوصيري في الزوائد: إسناده صحيح ، رجاله ثقات ، لأن عقيل بن طلحة وثقه ابن معين والنسائي ، وذكره ابن حبان في الثقات ، وباقي رجال السند على شرط مسلم . قلت: وفي السند قوله: (لا يرون أني أفضلهم) من غير إلا وفيه تصحيف ، والعبارة الصحيحة ما أثبتناه . لا نقفو أمتنا: أي لا تنههما ، ولا نقذفها

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي ، حديث رقم: (٧) ، وسيأتي تخريجه في رسائل الرسول إلى الملوك والقباصرة

الفصل الثاني

البشارة بالرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول: صفته في التوراة وتبشير اليهود به

٦- عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، فقلت: « أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة ، فقال: أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: « يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمينين ، أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس يَفْظ ، ولا غليظ ، ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا: لا إله إلا الله ، ويفتح به أعيناً عمياً ، وآذاناً صماً ، وقلوباً غلفاً » ^(١) .

٧- ومن حديث كعب الأحبار قال: « إني أجد في التوراة مكتوباً: محمد رسول الله ، لافظ ولا غليظ ، ولا سَخَاب في الأسواق ، ولا يجزي السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، أمته الحمادون ، يحمدون الله في كل منزلة ، ويكبرونه على كل نجد ، يأتزرون إلى أنصافهم ، ويوضئون أطرافهم ، صفّهم في الصلاة ، وصفّهم في القتال سواء ، مناديهم ينادي في جو السماء ، لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل ، مولده بمكة ، ومهاجره بطابة ، وملكه بالشام » ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في كتاب البيوع في الأسواق: ٢١٢٥ ، وفي التفسير حديث: ٤٨٣٨ ، وأخرجه أيضاً في كتاب الأدب المفرد حديث: ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ٣٧٤/١ - ٣٧٥ ، من طريق هلال بن علي ، عن عطاء بن يسار .
حرزاً للأمينين: حافظاً لهم ، والسخاب: رفع الصوت بالخصام . حتى يقيم به الملة العوجاء: ملة إبراهيم التي غيرتها العرب عن استقامتها .

(٢) أخرجه الدارمي في المقدمة: ٥٤/١ من طريق الأعمش عن أبي صالح قال: قال كعب: ورجاله ثقات ، وجاء في دلائل النبوة للبيهقي: ٣٧٧/١ ، عن أم الدرداء قالت: قلت لكعب الأحبار - وذكر شيئاً بهذا البيهقي وقد جاء عند الدارمي: ٦/١ ، من طريق معاوية بن صالح عن أبي فروة ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعب الأحبار

٨ - ومن حديث سلمة بن سلامة بن وقش رضي الله عنه: وكان من أصحاب بدر قال: « كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل قال: فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ﷺ ييسير ، فوقف على مجلس عبد الأشهل ، قال سلمة: وأنا يومئذ أحدث من فيه سنأ عليّ بردة مضطجعا فيها بفناء أهلي فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان ، لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت .

فقالوا له: ويحك يا فلان ، ترى هذا كائناً أن الناس يعيشون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ، ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال: نعم ، والذي يحلف به ، ولو أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدنيا يحمونه ، ثم يدخلونه إياه ، فيطبق به عليه ، وأن ينجو من تلك النار غداً .

قالوا له: ويحك ، وما آية ذلك ؟ قال: نبي يبعث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده نحو مكة واليمن .

قالوا: ومتى تراه ؟ قال: فنظر إليّ - وأنا من أحدثهم سنأ - فقال: إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه .

قال سلمة: « فوالله ما ذهب الليل والنهار ، حتى بعث الله تعالى رسوله ﷺ ، وهو حيٌّ بين أظهرنا ، فأمتنا به ، وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا: ويلك يا فلان ، ألسنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال: بلى: وليس به » ^(١) .

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة: ٢١٢/١ من طريق ابن إسحاق ، قال: حدثني صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمود بن لبيد ، عن سلمة به ، فصرح ابن إسحاق بالتحديث فانتفت شبهة التدليس .

ومن طريق ابن إسحاق أخرجه أحمد في المسند: ٤٦٧/٣ ، والطبراني في الكبير حديث: ٦٣٢٧ ، والبخاري في التاريخ الكبير: ٦٨/٢ - ٦٩ ، وأبو نعيم في الدلائل: ١٩١ ، والحاكم في المستدرک: ٤١٨-٤١٧/٣ ، والبيهقي في الدلائل: ٧٨/٢ - ٧٩ وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع: ٢٣٠/٨ . رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسمع . فالحديث صحيح .

ياسها من بعد انكاسها: ياسها من الاستماع في السماع ، أو استراق السمع بعد أن كانت قد ألفتها ، فانقلبت عن الاستراق ، وقد يشت من السماع .
القلاص: جمع قلوص: وهي الفتية من النياق .
جليح: الوقح المكافح بالعداوة .

المبحث الثاني: أخبار الكهان عن بعثته

٩- من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: « ما سمعت عمر بشيء قط يقول: إني لأظنه كذا ، إلا كان كما يظن » .

بينما عمر جالس إذ مر به رجل جميل ، فقال عمر: « لقد أخطأ ظني أو إن هذا على دينه في الجاهلية ، أو لقد كان كاهنهم ، عليّ الرجل ، فدعي له ، فقال له ذلك .

فقال: ما رأيت كالיום استقبل به رجل مسلم . قال: فإني أعزم عليك إلا ما أخبرتني . قال: كنت كاهنهم في الجاهلية . قال: فما أعجب ما جاءتك به جنيتك؟ قال: بينما أنا يوماً في السوق ، جاءتني أعرف منها الفزع ، فقالت:

الم تر الجن وإبلاسهما
ويأسها من بعد إنكاسها
ولحوقها بالقلاص واحلاسها

قال: صدق ، بينما أنا نائم عند آلهم ، إذ جاء رجل بعجل فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه يقول: يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح يقول: لا إله إلا الله فوثب القوم ، قلت: لا أبرح حتى أعلم ما وراء هذا ، ثم نادى: يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول: لا إله إلا الله . فقممت ، فما نشبتاً أن قيل: هذا نبي » ^(١) .

١٠- ومن حديث جابر رضي الله عنه قال: « أن أول خبر قدم علينا عن رسول الله ﷺ أن امرأة كان لها تابع قال: فأتاها في صورة طير ، فوقع على جذع لهم ، قال: فقالت: ألا تنزل فنخبرك وتخبرنا ، قال: إنه قد خرج رجل بمكة حرم علينا الزنا ، ومنع منا القرار » ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة ، باب إسلام عمر: ٣٦٥٣ ، ومناقب الأنصار: ٣٨٦٦ والبيهقي في الدلائل: ٢٤٨/٢ . وابن أبي خثيمة في تاريخه، والرويان في مسنده ، كما عزاه إليهما ابن حجر في الإصابة: (٩٥/٢) .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ٣٥٦/٣ ، عن طريق إبراهيم بن أبي العباس أبو المليلح، حدثنا عبدالله بن محمد بن عقيل به ، وأبو نعيم في الدلائل: ١٠٧/١ حديث: ٥٦ ، وابن سعد في الطبقات: ١٨٩/١ ، وقال الهيثمي في المجمع: ٢٤٣/٨ : رواه أحمد والطبراني في الأوسط ، ورجاله وثقوا .

المبحث الثالث

تبشير النبين به وكيف كان أول أمره

١١- من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: « قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك؟ » قال: (دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي نوراً أضاءت منه قصور الشام)^(١).

١٢- ومن حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين ، وإن آدم لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بتأويل ذلك ، دعوة أبي إبراهيم ، وبشارة عيسى قومه ، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم)^(٢).

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٢٦٢/٥ . والطبراني في المعجم الكبير: ٧٧٢٩ . والبيهقي في الدلائل: ٨٤/١ . وابن سعد في الطبقات: ١٠٢/١ من طريق فرج بن فضالة ، عن لقمان بن عامر ، عن أبي أمامة . وقال الهيثمي في المجمع: ٢٢٢/٨ وإسناد أحمد حسن ، وله شواهد تقويه . قلت: ومن هذه الشواهد الحديث الذي يليه عن العرياض بن سارية رقم: ١٢ ، وحديث عتب بن عبد السلمي برقم: ٢٤ ومن حديث خالد بن معدان ، عن أصحاب رسول الله ﷺ ، فذكر شياً بهذا زيادة ، أخرجه الحاكم: ٦٠٠/٢ ، والبيهقي في الدلائل: ٨٤/١ ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي . وقال ابن كثير في البداية: ٢٥٦/٢ صرح ابن إسحاق بالتحديث فيها ، وهذا إسناد جيد قوي . قلت: فالحديث حسن لشواهده .

(٢) أخرجه أحمد: ١٢٧/٤ ، ١٢٨ ، والطبراني في الكبير: ٢٥٢/١٨ ، والبيهقي في الدلائل: ٨٠/١ ، والبزار كما في كشف الأستار: ١١٢/٣ - ١١٣ . حديث: ٢٣٦٥ من طريق سعيد بن سويد ، عن عبد الأعلى بن هلال ، عن العرياض به . وأخرجه الحاكم: ٦٠٠/٢ من طريق سعيد بن سويد ، وعنده رجل ضعيف هو ابن أبي مريم . وقال الهيثمي في المجمع: ٢٢٣/٨ رواه أحمد ، والطبراني نحوه ، والبزار وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد ، ووثقه ابن حبان . وللحديث شواهد انظرها في الحديث الذي قبله ، ومن حديث ميسرة: أخرجه أحمد: ٥٩/٥ ، والحاكم: ٦٠٨/٢ - ٦٠٩ ، والبيهقي في الدلائل: ٨٤/١ - ٨٥ .

الفصل الثالث

حالة المجتمع الجاهلي قبل البعثة النبوية

١٣- حديث أم سلمة رضي الله عنها في قصة الهجرة إلى الحبشة ومحاورة جعفر رضي الله عنه للنجاشي وقوله:

« أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، يأكل القوي منا الضعيف ، فكثنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله تعالى لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمر بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة^(١) .

١٤- حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها ، الفخر في الأحساب ، والظعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة^(٢) » .

١٥- من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: « إن النكاح في الجاهلية كان على أربع أنحاء: فنكاح منها نكاح اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته ، فيصدقها ثم ينكحها .

ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ولا يمسه أبداً ، حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل

(١) الحديث صحيح انظر حديث رقم: ٩٤

(٢) أخرجه مسلم في الجنائز ، باب التشديد في النياحة ، حديث: ٩٣٤ . وأحمد: ٣٤٤، ٣٤٣، ٣٤٢/٥ . والبيهقي في السنن: ٦٣/٤ ، والحاكم في المستدرک: ٣٨٣/١ ، وقد جاء من حديث أبي هريرة شبيهاً بهذا الحديث ، وأخرجه الترمذي: ١٠٠٤ ، والطيالسي: ٢٣٩٥ ، وأحمد: ٢٩١/٢ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٥٣١، ٥٢٦، ٤٥٥، ٤١٥ ، وقال الهيثمي في المجمع: ١٣/٣ ، رواه البزار ، وإسناده حسن

ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبيها ، فإذا حملت ، ووضعت ، ومروا ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم ، وقد ولدت ، فهو ابنك يا فلان ، تسمي من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل .

والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير ، فيدخلون على المرأة لا تمتنع من جاءها ، ومن البغايا كن ينصين على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن ، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون ، فالتاظه به ، ودعي ابنه ، لا يمتنع من ذلك . فلما بُعث محمد بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم ^(١) .

(١) أخرجه البخاري في النكاح ، باب من قال لا نكاح إلا بولي: رقم: ٥١٢٧ ، وأبو داود في الطلاق ، باب في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية: ٢٢٧٢ ، والبيهقي في سننه: ١٩٠، ١١٠/٧ .

الباحثون عن الدين الحق في الجاهلية

زيد بن عمرو بن نفيل

٤٣- من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: « أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن الدين ويتبعه ، فلقي عالماً من اليهود فسأله عن دينهم فقال: إني لعلي أن أدين دينكم فأخبرني ، فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله .

قال زيد: ما أفرُّ إلا من غضب الله ، ولا أحمل من غضب الله شيئاً ، وأئى أستطيعه ؟ فهل تدلني على غيره ؟

قال ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً . قال زيد: وما الحنيف ؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ، ولا يعبد إلا الله .

فخرج زيد فلقي عالماً من النصاري فذكر مثله ، فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله . قال: ما أفرُّ إلا من لعنة الله ، ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبداً ، وأئى أستطيع ؟ فهل تدلني على غيره ؟

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفاً. قال: وما الحنيف ؟ قال: دين إبراهيم، لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولا يعبد إلا الله ، فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج، فلما برز رفع يديه، فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم^(١) .

٤٤- من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: « رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره إلى الكعبة يقول: يا معشر قريش ، والله ما منكم على دين إبراهيم غيري ، وكان يحيي المؤودة ، يقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: لا تقتلها ، أنا أكفيك مؤوتتها ، فيأخذها ، فإذا ترعرعت قال لأبيها: إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤوتتها^(٢) .

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، رقم: ٣٨٢٧ ، فتح الباري: ١٤٢/٧ .

(٢) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، رقم: ٣٨٢٨ ، فتح الباري: ١٤٣/٧ معلقاً ، ووصله الحاكم في المستدرک: ٤٤٠/٣ ، وقال: صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، بل أخرجاه كما سبق ذكره ، وقال الحافظ: وصله جماعة ذكرهم في الفتن .

٤٥- أ - ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: « إن النبي ﷺ لقي زيد ابن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي ، فقدمت إلى النبي ﷺ سفرة ، فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد: إني لست أكل ما تذبحون على أنصابكم ، ولا أكل إلا ما ذكر اسم الله عليه .

وإن زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قریش ذبائحهم ، ويقول: الشاة خلقها الله ، وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله ، إنكاراً لذلك وإعظاماً له ^(١) .

٤٥- ب - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: حدثني سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: « كنت من أهل فارس من أهل أصبهان ، من قرية يقال لها جَيٌّ ، وكان أبي دِهْقَان أرضه ، وكان يحبني حباً شديداً لم يحبه شيئاً من ماله ولا ولده ، فما زال به حبه إِيَّايَ حتى حبسني في البيت كما تحبس الجارية . واجتهدت في المَجُوسِيَّة حتى كنت قطن النَّار (الذي يُوقدُهَا) ولا يَتْرُكُهَا تَخْبُو ساعة ، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئاً إلا ما أنا فيه ، حتى بنى أبي بنياناً له ، وكانت له ضيعة فيها بعض العمل ، فدعاني فقال: أي بني ، إنه قد شغلني ما ترى من بنياني عن ضيعتي هذه ، ولا بد لي من اطلاعها ، فانطلق إليها فأمرهم بكذا وكذا ولا تحبسني عني ، فإنك إن احتبست عني شغلتنني عن كل شيء . فخرجت أريد ضيعة ، فمررت بكنيسة النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها ، فقلت: ما هذا ؟ فقالوا: هؤلاء النصارى يصلون . فدخلت أنظر فأعجبني ما رأيت من حالهم . فوالله ما زلت جالساً عندهم حتى غربت الشمس .

وبعث أبي في طلبي في كل جهة حتى جثته حين أمسيت ولم أذهب إلى ضيعة ، فقال أبي: أين كنت ؟ ألم أكن قلت لك ؟ فقلت: يا أبتاه مررت بناس يقال لهم النصارى ، فأعجبني صلواتهم ودعاؤهم ، فجلست أنظر كيف يفعلون . فقال: أيُّ بُني دينك ودين آبائك خيرٌ من دينهم . فقلت: لا والله ما هو بخير من دينهم ، هؤلاء قومٌ يعبدون الله ويدعونه ويصلون له ، ونحن إنما نعبد ناراً نوقدها بأيدينا ، إذا تركناها ماتت . فخافني ، فجعل في رجلي حديداً ، وحبسني في بيت عنده ، فبعثت إلى النصارى ، فقلت لهم: أين أصلُ هذا الدين الذي أراكم

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل رقم: ٣٨٢٦ ، فتح الباري: ١٤٢/٧ .

عليه ؟ فقالوا: بالشام. فقلت: فإذا قدم عليكم من هناك ناسٌ فأذّنوني ، قالوا: نفعل . فقدم عليهم ناسٌ في تجارتهم .

فبعثوا إليّ أنّه قد قدم علينا تجار من تجارنا . فبعثت إليهم إذا قضوا حوائجهم وأرادوا الخروج فأذّنوني . فقالوا: نفعل . فلما قضوا حوائجهم وأرادوا الرّحيل بعثوا إليّ بذلك ، فطرح الحديد الذي في رجليّ ولحقت بهم ، فانطلقت معهم حتى قدمت الشام . فلما قدمتها ، قلت: من أفضل أهل هذا الدين ؟ فقالوا: الأسقف صاحب الكنيسة . فجئته ، فقلت له: أحبيت أن أكون معك في كنيستك، وأعبد الله معك ، وأتعلم منك الخير . قال: فكن معي .

قال: فكننت معه ، وكان رجل سوءٍ ؛ كان يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها . فإذا جمعوها إليه اكتنّزها ولم يعطها المساكين . فابغضته بغضاً شديداً لما رأيت من حاله ، فلم ينشأ أن مات ، فلما جاءوا ليدفنه قلت لهم: إن هذا رجل سوءٍ ؛ كان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، حتى إذا جمعتموها إليه اكتنّزها ولم يعطها المساكين . فقالوا: وما علامة ذلك ؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزه . فقالوا: فهاته . فأخرجت لهم سبع قلالٍ مملوءة ذهباً وورقاً . فلما رأوا ذلك قالوا: والله لا يدفن أبداً . فصلبوه على خشبة ورموه بالحجارة ، وجاءوا برجل آخر فجعلوه مكانه . فلا والله يا ابن عباس ، ما رأيت رجلاً قط لا يصلي الخمس أرى أنّه أفضل منه أشدّ اجتهاداً ، ولا أزهد في الدنيا ، ولا أداب ليلاً ولا نهاراً منه . ما أعلمني أحبيت شيئاً قط، قبله ، حبّه . فلم أزل معه حتى حضرته الوفاة .

فقلت: يا فلان ، قد حضرك ما ترى من أمر الله . وإنّي والله ما أحبيت شيئاً قط ، حبّك ، فماذا تأمرني ؟ إلى من توصيني ؟ فقال: أي بني ، والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل فاته ، فإنك ستجده على مثل حالي .

فلما مات (وغُيِّب) لحقت بالموصل ، فأتيت صاحبها ، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزّهادة في الدنيا ، فقلت له: إن فلاناً أوصاني إليك أن آتيك وأكون معك . قال: فأقم أي بني . فأقمت عنده على مثل أمر صاحبه ، حتى حضرته الوفاة . فقلت له: إنّ فلاناً أوصاني إليك وقد حضرك من أمر الله ما ترى، فإلى من توصيني ، فقال: والله ما أعلمه ، أي بني ، إلا رجلاً بنصيبين وهو على مثل ما نحن عليه ، فالحقّ به ، فلما دفناه . لحقت بالآخر فقلت له: يا فلان ، إن فلاناً أوصاني إلى فلان، وفلان أوصاني إليك . قال: فأقم يا بني .

فأقمت عنده على مثل حالهم حتى حضرته الوفاة . فقلت له : يا فلان ، إنَّه قد حضرك من أمر الله ما ترى ، وقد كان فلانٌ أوصاني إلى فلانٍ ، وأوصاني فلانٌ إلى فلان ، وأوصاني فلان إليك ، فإلى من توصيني ؟ قال لي : أي بني ، والله ما أعلم أحداً على مثل ما نحن عليه إلا رجل بعُمُورية من أرض الرُّوم ، فاتِّه ، فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه .

فلما واريته ، خرجت حتى قدمت على صاحب عُمُورية ، فوجدته على مثل حالهم ، فأقمت عنده ، واكتسبت حتى كان لي عُثيمةٌ وبقرات . ثم حضرته الوفاة . فقلت : يا فلان ، إن فلاناً كان أوصاني إلى فلان ، وفلانٌ إلى فلان ، وفلانٌ إليك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى ، فإلى من توصيني ؟

قال : أي بني ، والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه آمرك أن تأتبه . ولكنه قد أظلك زمان نبي يبعث من الحرم ، مُهاجرةً بين حرَّتين ، إلى أرض سبخة ذات نخيل ، وإنَّ فيه علامات لا تخفى : بين كتفيه خاتم النبوة ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة . فإن استطعت أن تُخلص إلى تلك البلاد فافعل ، فإنه قد أظلك زمانه .

فلما واريناه ، أقمت حتى مرَّ رجالٌ من تجار العرب من كلبٍ ، فقلت لهم : تحملوني معكم حتى تقدموا بي أرض العرب ، وأعطيكُم غنيمتي هذه وبقراتي ؟ قالوا : نعم . فأعطيتهم إياها ، وحملوني حتى إذا جاءوا بي وادي القرى ظلموني فباعوني عبداً من رجل من يهود ، بوادي الثرى . فوالله لقد رأيت النخل ، وطمعت أن تكون البلد الذي نعتَ لي صاحبي وما حقت عندي ، حتى قدم رجل من بني قريظة ، من يهود وادي القرى ، فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده ، فخرج بي حتى قدم المدينة . فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفت نعمته ، فأقمت في رِق مع صاحبي .

وبعث الله رسوله ﷺ ، بحكمة لا يذكر لي شيئاً من أمره مع ما أنا فيه من الرِّق حتى قدم رسول الله ﷺ ثُباء ، وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له . فوالله إنني لفيها إذ جاء ابن عم له ، فقال : يا فلان قاتل الله بني قيلة ، والله إنهم الآن لفي ثُباء مجتمعون على رجل من مكة ، يزعمون أنه نبي ، فوالله ما هو إلا أن سمعتها ، فأخذتني « العرواء » - يقول « الرعدة » - حتى ظننت لأسقطن على صاحبي . ونزلت أقول : ما هذا الخبر ؟ ما هو ؟ فرفع مولاي يده ، فلكمني

لكمة شديدة ، وقال: ما لك ولهذا ؟ أقبل قَبْلَ عملك . فقلت: لا شيء ، إنما سمعت خبراً فأجبت أن أعلمه . فلماً أمسيت ، وكان عندي شيءٌ من طعام ، فحملته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ ، وهو يقبأ ، وقلت: إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، وأن معك أصحاباً لك غرباء ، وقد كان عندي شيء للصدقة ، فرأيتم أحقَّ مَنْ بهذه البلاد (به) فها هو ذا فكل منه . فأمسك رسول الله ﷺ بيده ، وقال: لأصحابه: كُلوا ، ولم يأكل . فقلت في نفسي هذه خلة مما وصفَ لي صاحبي .

ثم رجعت ، وتحول رسول الله ﷺ ، إلى المدينة فجمعت شيئاً كان عندي ثم جئت به ، فقلت: إن قد رأيته لا تاكل الصدقة ، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة . فاكل رسول الله ﷺ ، وأكل أصحابه . فقلت: هذه خلتان .

ثم جئت رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعلي شملتان لي وهو في أصحابه ، فاستدبرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره ، فلما رأي رسول الله ﷺ ، استدبرته عَرَفَ أَنِّي اسْتَبَيْتُ شيئاً قد وُصف لي ، فوضع رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم بين كتفيه كما وصف لي صاحبي فأكببتُ عليه أقبله وأبكي . فقال: تحول يا سلمان هكذا . فتحولت فجلست بين يديه . وأحب أن يُسمع أصحابه حديثي عنه . فحدثته يا ابن عباس كما حدثتك . فلما فرغت قال رسول الله ﷺ: كاتب يا سلمان . فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبيها ، وأربعين أوقية . وأعاني أصحاب رسول الله ﷺ ، بالنخل: ثلاثين وِدْيَةً^(١) . وعشرين وِدْيَةً ، وعَشْرَ ، كل رجل منهم على قدر ما عنده . فقال لي رسول الله ﷺ: فَقَرُّ لَهَا^(٢) فإذا فرغت فأذني حتى أكون الذي أضعها بيدي .

ففقرتها وأعاني أصحابي - يقول حَقَرْتُ لها حيث توضع - حتى فرغنا منها . ثم جئت رسول الله ﷺ ، فقلت: يا رسول الله ، قد فرغنا منها فخرج معي حتى جاءها ، وكنا نحمل إليه الودِيَّ ، ويضعه بيده ، وَيُسَوِّي عليها . فوالذي بعثه بالحق ما ماتت منها وِدْيَةٌ واحدة . وبقيت عليّ الدراهم . فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البَيْضَةِ من الذهب ، فقال رسول الله ﷺ: أين الفارسي المسلم المكاتب ؟ قد عِيتُ له ، فقال: خذ هذه يا سلمان ، فأدها مما عليك . فقلت: يا

(١) الودية: النخلة الصغيرة .

(٢) فقر لها: أي أحفر .

رسول الله ، وأين تقع هذه مما علي ؟ قال: فإن الله تعالى سيؤدي بها عنك .
فوالذي نفس سلمان بيده لو زئتُ لهم منها أربعين أوقية ، فأديتها إليهم وعتق
سلمان. وكان الرق قد حبسني حتى فاتني مع رسول الله ﷺ ، بذر وأخذ ، ثم
عتقت فشهدت الخندق ، ثم لم يفتني معه مشهد^(١)

(١) أخرجه أحمد في المسند: ٤٤٤-٤٤١/٥ ، وابن هشام في السيرة: ٢٢٨/١ - ٢٣٥ ، والبيهقي في
الدلائل: ٩٢/٢ - ٩٧ والخطيب في التاريخ: ١٦٩-١٦٤/١ ، وأبو نعيم في دلائل النبوة: ١٩٩ ، وابن
سعد في الطبقات: ٧٥/٤ - ٨٠ ، والطبراني في الكبير برقم: ٦٠٦٥ ، جميعاً من طريق ابن اسحاق ،
حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن سلمان به .
وقد صرح ابن اسحاق بالتحديث فزالت شبهة التدليس والإسناد حسن .

الفصل الرابع

قصة حفر زمزم

١٦- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه - قال: « قال عبدالمطلب: إني لنائم في الحجر إذ أتاني آت فقال لي: احفر طيبة . قلت: وما طيبة ؟ قال: ثم ذهب عني .

قال: فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه ، فجاءني فقال: احفر برةً ، قال: قلت وما برةٌ ؟ قال: ثم ذهب عني .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني . فقال: احفر المضنونة . قال: قلت: وما المضنونة ؟ قال: ثم ذهب عني .

فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه . فجاءني فقال: احفر زمزم . قال: قلت: وما زمزم ؟ قال: لا تتزف أبداً ولا تدم ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين القرث والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم ، عند قرية النمل .

قال: فلما بين شأنها ، ودلّ على موضعها ، وعرف أنه قد صدق ، غدا ببعوله ومعه ابنه الحارث بن عبدالمطلب ، وليس معه يومئذ ولد غيره ، فحفر فيها ، فلما بدا لعبد المطلب الطيُّ كَبِيرٌ ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا: يا عبدالمطلب إنها بئر أيننا إسماعيل ، وإنّ لنا فيها حقاً ، فأشركنا معك فيها . قال: ما أنا بفاعل ، إن هذا الأمر قد خصصت به دونكم ، وأعطيته من بينكم . قالوا له: فأنصفنا ، فإننا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها ، قال: فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه . قالوا: كاهنة بني سعد بن هذيم ، قال: نعم ، وكانت بأشراف الشام .

فركب عبدالمطلب ومعه نفر من بني أمية ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر ، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز ، حتى إذا كانوا يبيعونها نقد ماء عبدالمطلب وأصحابه ، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة ، فاستسقوا من كانوا معهم فأبوا عليهم ،

وقالوا: إنا بمفازة وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم . فقال عبدالمطلب: إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما لكم الآن من القوة ، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه ، حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً ، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه . فقالوا: نعم ما أمرت به .

فحفر كل رجل لنفسه حفرة ، ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً .

ثم إنَّ عبدالمطلب قال لأصحابه: والله إنَّ إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا ضرب في الأرض ، ولا نبتغي لأنفسنا لعجز ، فعسى الله أن يرزقنا ماءً ببعض البلاد ، ارتحلوا . فارتحلوا حتى إذا بعث عبدالمطلب راحلته انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب ، فكبر عبدالمطلب ، وكبر أصحابه ، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه ، واستسقوا حتى ملأوا أسقيتهم ، ثم دعا قبائل قريش - وهم ينظرون إليهم في جميع هذه الأحوال - فقال: هلموا إلى الماء فقد سقانا الله ، فجاءوا فشربوا ، واستقوا كلهم ، ثم قالوا: قد والله قضى لك علينا ، والله ما نخاصمك في زمزم أبداً ، إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم ، فارجع إلى سقايتك راشداً . فرجع ورجعوا معه ، ولم يصلوا إلى الكاهنة ، وخلقوا بينه وبين زمزم .

قال ابن إسحاق: فهذا ما بلغني عن علي بن أبي طالب في زمزم ^(١).

(١) أخرجه ابن إسحاق بسنده ، فقال: حدثني يزيد بن حبيب المصري ، عن مرثد بن عبدالله اليزني ، عن عبدالله بن زبير أنه سمع علي بن أبي طالب ، فذكره
انظر السيرة النبوية لابن هشام: ١٤٢/١ - ١٥٥ . والسير والمغازي لابن إسحاق صفحة: ٢٤-٢٥ تحقيق سهيل زكار . والبيهقي في الدلائل: ٩٣/١ - ٩٥ ، من طريق ابن إسحاق ، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع ، فسنده صحيح ، وله شاهد من مرسل الزهري عند عبدالرزاق في المصنف ، حديث رقم: ٩٧١٨ ، ٣١٤/٥ ، ورواه ابن سعد في طبقاته: ٨٣/١ - ٨٥ من طريق الواقدي ، وهو ضعيف . فالحديث بهذا صحيح من طريق البيهقي وابن هشام .

الفصل الخامس

أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة

المبحث الأول: مولده صلى الله عليه وسلم

ولد في ربيع الأول يوم الإثنين بلا خلاف ، والأكثرون على أنه ليلة الثاني عشر منه ^(١) .

وقال خليفة بن خياط: والمجمع عليه أنه عليه السلام ولد عام الفيل ^(٢) .

١٧- من حديث قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف رضي الله عنه قال: « ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل ، فنحن لدآن ، ولدنا مولداً واحداً » ^(٣) .

١٨- ومن حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن صوم يوم الاثنين قال رسول الله ﷺ: (ذاك يوم ولدت فيه ، ويوم بعثت أو أنزل عليّ فيه) ^(٤) .

١٩- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنه قال: « ولد النبي ﷺ يوم الاثنين ، واستنّ يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، ورفع الحجر الأسود يوم الاثنين » ^(٥) .

٢٠- ومن حديث ابن عباس وجابر رضي الله عنهم أنهما قالوا: « ولد رسول

(١) انظر سيرة ابن هشام: ١٥٨/١ ، تاريخ الطبري: ١٥٤-١٥٧/٢ ، الاستيعاب: ٣١-٣٠/١ ، البداية والنهاية: ٢٥٩-٢٦٢/٢ ، دلائل النبوة لأبي نعيم: ٤٠/١ ، دلائل النبوة للبيهقي: ٩٤-٨٩/١ .

(٢) السيرة النبوية لابن كثير: ٢٠٣/١

(٣) أحمد: ٢١٥/٤ ، والترمذي في المناقب باب ما جاء في ميلاد النبي ﷺ بزيادة: ٣٦١٩ وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق ، وقد صرح بالتحديث ، فانتفت الشبهة في التدليس « قلت وبذلك يصح الحديث .

(٤) مسلم: كتاب الصيام ، باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر: ١١٦٢ وأبو داود في الصيام ، باب في صوم الدهر تطوعاً رقم: ٢٤٢٦

(٥) أخرجه أحمد: ٢٧٧/١ ، والطبراني في الكبير: ١٢٩٨٤ من طريق ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش الصنعاني به ، ومن الرواة عن ابن لهيعة عمرو بن خالد عند الطبراني ، وقد سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه ، فالحديث بهذا حسن ، وله شواهد ، انظر ما بعده: ٢٠ . وقال الهيثمي في المجمع: ١٩٦/١ ، وفيه ابن لهيعة ، وهو ضعيف ، وبقية رجاله ثقات من أهل الصحيح .

الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول ، وفيه عرج به إلى السماء ، وفيه هاجر ، وفيه مات . هذا هو المشهور عند الجمهور . والله أعلم^(١) .

٢١- ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: « ولد رسول الله ﷺ عام الفيل »^(٢) .

المبحث الثاني: مرضعاته عليه الصلاة والسلام

ثوية مولاة أبي لهب مولاة بني هاشم

٢٢- من حديث زينب ابنة أبي سلمة أن أم حبيبة رضي الله عنها أخبرتها أنها قالت: « يا رسول الله ، انكح أختي بنت أبي سفيان ، فقال: أو تحبين ذلك ؟ فقالت: نعم ، لست لك بمُخلية ، وأحبُّ من شاركني في خير أختي » . فقال النبي ﷺ: (إنَّ ذلك لا يحلُّ لي . قلت: فلما نُحَدِّثُ أنكَ تريد أن تنكح بنت أبي سلمة . قال: بنت أم سلمة ؟ قلت: نعم . فقال: لو أنَّها لم تكن ريبيتي في حجري ما حلَّت لي ، إنها لابنة أخي من الرضاعة ، أرضعنتي وأبا سلمة ثوية ، فلا تُغرِضَنَّ عليَّ بناتكن ، ولا أخواتكن)^(٣) .

(١) ابن أبي شيبة في مصنفه ، وإسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح ، انظر السيرة النبوية ، لابن كثير: ١٩٩/١

(٢) رواه الطبراني في الكبير: ١٢٤٣٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة: ١٠/١ ، والبخاري في كشف الاستار: ١٢١/١ ، حديث: ٢٢٦ عن طريق يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن سعيد بن جبير به . وقال الهيثمي في المجمع: ١٩٦/١ : رواه البزار والطبراني في الكبير ورجالهم موثقون .

(٣) رواه البخاري ، كتاب النكاح ، باب: ﴿ وأمهاتكم اللائي أرضعنكم ﴾ رقم: ٥١٠١ ، فتح الباري: ١٤٠/٩ ، مسلم: ١٤٤٩ ، الرضاع ، باب تحريم الربيبة وأخت المرأة ، وأبو داود: ٢٠٥٦ النكاح ، وباب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب ، وابن ماجه: ١٩٣٩ كتاب النكاح ، باب يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب ، والنسائي في النكاح ، باب تحريم الجمع بين الأختين: ٩٦/٦ ، وابن سعد في الطبقات: ١٠٨/١ .
قمرء: القمرة لون البياض إلى الخضرة . وأدمت: حدثت في ركبها جروح دامية باصطكاكها ، والشارف: الناقة المسنة . وبض: سال منه الماء شبه العرق أي قليلاً قليلاً ، شهباء: مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر .

حليمة السعدية

٢٣- من حديث عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما: قال: « لما وُلد رسول الله ﷺ قدمت حليمة بنت الحارث ، في نسوة من بني سعد بن بكر يلتمسون الرضعا بمكة .

قالت حليمة: فخرجت في أوائل النسوة على أتان لي ، قمراء ، ومعى زوجي الحارث بن عبدالعزيز ، أحد بني سعد بن بكر ، ثم أحد بني ناضرة ، قد أدمت أتاننا ، ومعى بالركب شارف والله ما تبض بقطرة لبن ، في سنة شهباء . قد جاع الناس حتى خلس إليهم الجهد ، ومعى ابن لي ، والله ما ينام ليلنا ، وما أجد في يدي شيئاً أعلله به ، إلا أنا نرجوا الغيث ، وكانت لنا غنم ، فنحن نرجوها .

فلما قدمنا مكة فما بقي منا أحد إلا عرض عليها رسول الله ﷺ فكرهته ، فقلنا: إنه يتيم ، وإنما يكرم الظئر ، ويحسن إليها الوالد ، فقلنا: ما عسى أن تصنع بنا أمه أو عمه أو جده ، فكل صواحيبي أخذ رضيعاً ، فلما لم أجد غيره ، رجعت إليه ، وأخذته ، والله ما أخذته إلا إني لم أجد غيره ، فقلت لصاحبي: والله لأأخذن هذا اليتيم من بني عبدالمطلب ، فعسى الله أن ينفعنا به ، ولا أرجع من بين صواحيبي ولا أخذ شيئاً ، فقال: قد أصبت .

قالت: فأخذته ، فأتيت به الرُّحْلَ ، فوالله ما هو إلا أن أتيت به الرُّحْلَ ، فأمسيت أقبل ثدياي باللبن ، حتى أرويته ، وأرويت أخاه ، وقام أبوه إلى شارفنا تلك يلمسها ، فإذا هي حافل ، فحلبها ، فأرواني وروي ، فقال: يا حليمة ، تعلمين والله لقد أصبنا نسمة مباركة ، ولقد أعطى الله عليها ما لم نتمنَّ ، قالت: فبتنا بخير ليلة ، شباعاً ، وكنا لا ننام ليلنا مع صبينا .

ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا أنا وصواحيبي ، فركبت أتانى القمراء ، فحملته معى ، فوالذي نفس حليمة بيده لقطعت الركب حتى ان النسوة ليقلن: أمسكي علينا ، أهذه أتانك التي خرجت عليها ؟ فقلت: نعم ، فقالوا: إنها كانت أدمت حين أقبلنا فما شأنها ؟ قالت ، فقلت: والله حملت عليها غلاماً مباركاً .

قالت: فخرجنا ، فما زال يزيدها الله في كل يوم خيراً ، حتى قدمنا والبلاد سِنَّةً ، ولقد كان رعائنا يسرحون ثم يريحون ، فتروح أغنام بني سعد جياً ، وتروح غنمي شباعاً ، بطاناً ، حفلاً ، فنحتلب ، ونشرب ، فيقولون: ما شأن

غنم الحارث بن عبدالعزيز ، وغنم حليلة تروح شباعاً حفاً ، وتروح غنمكم جياعاً ؟ ويلكم اسرحوا حيث تسرح غنم رعاؤهم ، فيسرحون معهم ، فما تروح إلا جياعاً ، كما كانت ، وترجع غنمي كما كانت .

قالت : وكان يشب شباباً ما يشبه أحد من الغلمان ، يشب في اليوم شباب الغلام في الشهر ، ويشب في الشهر شباب السنة ، فلما استكمل ستين أقدمناه مكة ، أنا وأبوه ، فقلنا : والله لا نفارقه أبداً ونحن نستطيع ، فلما أتينا أمه ، قلنا : أي ظئر ! والله ما رأينا صبيّاً قط أعظم بركة منه ، ولنا نتخوف عليه وباء مكة وأسقامها ، فدعاه نرجع به حتى تبرئني من دائك ، فلم نزل بها حتى أذنت ، فرجعنا به ، فاقمنا شهراً ثلاثة أو أربعة .

فبينما هو يلعب خلف البيوت هو وأخوه في بُهْم له ، إذ أتى أخوه يشتد ، وأنا وأبوه في البدن ، فقال : إن أخي القرشي ، أتاه رجلان عليهما ثياب بيض ، فأخذاه واضطجعا ، فشققاً بطنه ، فخرجت أنا وأبوه يشتد ، فوجدناه قائماً ، قد انتقع لونه ، فلما رأنا أجهش إلينا ، وبكى ، قالت : فالتزمته أنا وأبوه ، فضممناه إلينا ، فقلنا : مالك بأبي أنت ؟ فقال : أتاني رجلان وأضجعاني ، فشققاً بطني ، وصنعا به شيئاً ، ثم رداه كما هو ، فقال أبوه : والله ما أرى ابني إلا وقد أصيب ، إلحقي بأهله ، فرديه إليهم قبل أن يظهر له ما نتخوف منه .

قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فلما رأتنا أنكرت شأننا ، وقالت : ما رجعكما به قبل أن أسألكماه ، وقد كتما حريصين على حبسه ؟ فقلنا : لا شيء إلا أن قد قضى الله الرضاعة وسرنا ما نرى ، وقلنا : نؤويه كما تحبون أحب إلينا ، قال : فقالت : إن لكما شأنًا فأخبراني ما هو ، فلم تدعنا حتى أخبرناها ، فقالت : كلا والله ، لا يصنع الله ذلك به ، إن لابني شأنًا ، أفلا أخبركما خبره ، إني حملت به ، فوالله ما حملت حملاً قط ، كان أخف علي منه ، ولا أيسر منه ، ثم أريت حين حملته خرج مني نور أضاء منه أعناق الإبل ببصري - أو قالت : قصور بصرى - ثم وضعته حين وضعته ، فوالله ما وقع كما يقع الصبيان ، لقد وقع معتمداً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء فدعاه عنكما فقبضه وانطلقنا^(١) .

(١) رواه ابن حبان كما في الموارد : ٥١٢ ، ٥١٣ ، والطبراني في الكبير : ٢٤/٢١٢-٢١٥ ، والبيهقي في الدلائل : ١٣٣/١ ، والسيرة النبوية بشرح الخشن : ٢١٤/١ وإسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية : ١٧١-١٦٧/٤ ، وأبو يعلى كما في مجمع الزوائد : ٢٢١/٨ جميعاً من طريق ابن إسحاق ، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع في رواية السيرة ، وقال الهيثمي في المجمع : ٢٢٧/٨ ، رواه

المبحث الثالث: شق صدره وذو السكينة على قلبه

سبق ذكرها في الحديث السابق

٢٤- من حديث عتبة بن عبد السلمي رضي الله عنه: « أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ فقال: كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال: (كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر ، فانطلقت أنا وابن لها في بُهْم لنا ، ولم نأخذ معنا زاداً . فقلت: يا أخي ، اذهب فأتنا بيزاد من عند أمنا .

فانطلق أخي ، ومكثت عند البهم ، فأقبل طيرَان أبيضَان كأنهما نسرَان ، فقال أحدهما لصاحبه: أهو هو ؟ قال: نعم ، فأقبلا يتتدراني ، فأخذاني ، فبطحاني إلى القفا ، فشقَّا بطني ، ثم استخرجا قلبي ، فشقا فخرجا منه علقَتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه: - قال: يزيد في حديثه - أثنتي بماء ثلج ، فغسلا به جوفي ، ثم قال: أثنتي بماء يرد ، فغسلا به قلبي ، ثم قال: أثنتي بالسكينة ، قدَرَّأها في قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه: خطه ، فخاطه وختم عليه بخاتم النبوة .

فقال أحدهما لصاحبه: اجعله في كِفَّة ، واجعل ألفاً من أمته في كفة ، فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقِي ، أشفق أن يخرَّ عليَّ بعضهم ، فقال: لو أن أمته وزنت به لمال بهم ، ثم انطلقا وتركاني .

وفرقتُ فرقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمي ، فأخبرتُها بالذي لقيتُه ، فاشفقت عليَّ أن يكون البس بي قالت: أعيذك بالله ، فرحلتُ بعيراً لها ، فجعلتني أو فحملتني على الرحل ، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي فقالت: أديت أمانتي وذمتي ، وحدتُها بالذي لقيت ، فلم يرعها ذلك ، فقالت لي: رأيت خرج مني نور ، أضاءت منه قصور الشام (١) .

أبو يعلى ، والطبراني بنحوه إلا أنه قال: حليلة بنت أبي ذؤيب ، ورجالهما ثقات ، قلت ولكن من مقاطع الحديث شواهد تقويها ولذلك فالحديث حسن لشواهد . وناقة حافل: كثير لبنها . لقطعت: سبقت .

(١) رواه أحمد في المسند: ١٨٤-١٨٥/٤ ، والحاكم في المستدرک: ٦١٦-٦١٧/٢ ، والطبراني في الكبير: ١٣١/١٧ ، والدارمي في المقدمة ، باب كيف كان أول شأن النبي: ٨/١ ، جميعاً من طريق بقية ، حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان ، عن ابن عمرو السلمي ، عن عتبة بن عبد السلمي ، وقد صرح بقية بالتحديث عندهم جميعاً إلا عند الدارمي ، وبقية إذا روى عن بحير فهو معتد به ، ومقبول وموثق ،

٢٥- وقد جاء من حديث أنس رضي الله عنه باختصار أكثر فقال: « إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل ﷺ وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه فشق عن قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقه ، فقال: هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه » يعني ظئره « فقالوا: إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه ، وهو منتقع اللون » . قال أنس: « وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره »^(١).

وقد حدثت أيضاً حادثة شق الصدر مرة أخرى في رحلة الإسراء والمعراج ، وسيأتي تفصيلها هناك فانظرها .

المبحث الرابع: وفاة أمه عليه السلام وزيارته قبرها بعد البعثة

٢٦- قال ابن إسحاق: حدثني عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم: « أن أم رسول الله ﷺ توفيت وهو ابن ست سنين بالأبواء بين مكة والمدينة . كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيه إياهم ، فماتت وهي راجعة به إلى مكة »^(٢).

٢٧- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: « زار النبي ﷺ قبر أمه ، فبكى وأبكى من حوله ، فقال: استأذنت ربي في أن استغفر لها فلم يؤذن لي ، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي ، فزوروا - القبور ، فإنها تذكروا الموت »^(٣).

وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ، وأقره الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع: ٢٢٢/٨ إسناد أحمد حسن ، وللحديث شواهد سبق ذكرها تحت رقمي: ١١ - ١٢ ، فالحديث صحيح .

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان ، باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم: ٢٦١ ، أحمد في المسند: ١٢١/٣ ، ١٤٩ ، ٢٢٨ ، والحاكم في المستدرک: ١١٦/٢-١١٧ ، والبيهقي في الدلائل: ٧/٢ - ٨ ، والدارمي في المقدمة ، باب كيف كان أول شأن النبي: ٩٨/١ .

ومعنى منتقع اللون: متغير اللون . والمخيط: الإبرة . لأمه: جمعه ، وضم بعضه إلى بعض .

(٢) ابن هشام في السيرة: ١٦٨/١ ، عن ابن إسحاق ، ورجاله ثقات ، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث ، فزالت شبهة تدليسه ، ابن كثير: ٢٣٥/١ .

(٣) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب استئذان النبي ﷺ ربه - عز وجل - في زيارة قبر أمه الحديث رقم: ٩٧٦ ، ٦٧١/٢ .

المبحث الخامس: كفالة جده وحيه له

٢٨- من حديث كندير بن سعيد عن أبيه قال: حججت في الجاهلية فإذا رجل يطوف بالبيت وهو يرتجل يقول:

رب رد راكبي محمداً رده لي واصطنع عندي يداً

قلت: من هذا يعني؟ قال: عبدالمطلب بن هاشم ذهبت إبل له، فأرسل ابنه في طلبتها، فاحتبس عليه، ولم يرسله في حاجة قط إلا جاء بها، قال: فما برحت حتى جاء النبي ﷺ، وجاء بالإبل فقال: يا بني، لقد حزنت عليك كالمرأة حزناً لا يفارقني أبداً^(١).

المبحث السادس: رعيه الغنم وعصمة الله له من الزلل

٢٩- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: نعم، كنت أرهاها على قراريط لأهل مكة)^(٢).

٣٠- ومن حديث جابر رضي الله عنه: قال كنا مع رسول الله ﷺ نجتني الكباش، فقال: (عليكم بالأسود منه، فإنه أطيبه قال: قلنا: وكنت ترعى الغنم يا رسول الله؟ قال: (نعم، وهل من نبي إلا قد رعاها)^(٣).

٣١- من حديث علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما هممت بقبیح مما كان أهل الجاهلية يهْمُون به، إلا مرتين من الدهر، كليهما يعصمني الله منهما، قلت ليلة لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في

(١) أخرجه الطبراني في الكبير: ٥٥٢٤، والبيهقي في دلائل النبوة: ٢٠/٢ - ٢١ وابن سعد في الطبقات: ١١١/١، والحاكم في المستدرک: ٦٠٣/٢، ٦٠٤، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل: ١٧٣/٢/٣، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في المجمع: ٢٢٤/٨: رواه أبو يعلى، والطبراني، وإسناده حسن.

وعزاه السيوطي في الخصائص: ٨١/١ إلى البخاري في تاريخه، وابن عدي وأبو نعيم، وابن مندة.

(٢) رواه البخاري في كتاب الإجارة، باب: رعى الغنم على قراريط، فتح الباري: ٤٤١/٤، رقم: ٢٢٦٢، وابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الصناعات، رقم: ٢١٤٩، وابن سعد: ١/١٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في الأطعمة، باب الكباش، حديث: ٥٤٥٣، ومسلم في الأشربة، باب فضيلة الأسود من الكباش، حديث: ٢٠٥٠.

أغنام لأهله يرعاها: (أبصر إلي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة ، كما يسمر
الفتيان ، قال: نعم ، فخرجت ، فجئت أدنى دار من دور مكة ، سمعت غناء ،
وضرب دفوف ، ومزامير ، فقلت: ما هذا ؟ فقالوا: فلان تزوج فلانة ، لرجل
من قريش تزوج امرأة من قريش ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني
عيني ، فما أيقظني إلا حر الشمس ، فرجعت فقال: ما فعلت ؟ فأخبرته .

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك ، ففعل ، فخرجت ، فسمعت مثل ذلك ،
فقبل لي مثل ما قبل لي ، فلهوت بما سمعت حتى غلبتني عيني ، فما أيقظني إلا
مسُّ الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبي فقال: فما فعلت ؟ قلت: ما فعلت شيئاً .
قال رسول الله ﷺ: فوالله ما هممت بعدها بسوء مما يعمل أهل الجاهلية حتى
أكرمني الله بنبوته ^(١) .

المبحث السابع: قصة بحيرا الراهب

٣٢- من حديث أبي موسى الأشعري: قال: « خرج أبو طالب إلى الشام ،
وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش ، فلما أشرفوا على الراهب هبطوا ،
فحلوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يسيرون ، فلا يخرج
إليهم ، ولا يلتفت .

قال: فهم يحلون رحالهم ، فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء ، فأخذ بيد
رسول الله ﷺ قال: هذا سيد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، يبعثه الله
رحمة للعالمين ، فقال له أشياخ من قريش: ما علمك ؟ فقال: إنكم حين أشرفتم
من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرَّ ساجداً ، ولا يسجدان إلا لنبى ، وإنني
أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة .

ثم رجع فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهاهم به ، وكان هو في رعية الإبل قال:
أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظله ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل: ١٢٨ ، والبيهقي في الدلائل: ٣٣/٢ ، والبخاري كما في الكشف برقم:
٢٤٠٣ ، وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان: ٥٦/٨ ، رقم: ٦٢٣٩ ، وانظر المطالب العالية:
١٧٨/٤ . رقم ٤٢٥٩ . وقال البوصيري: رواه إسحاق بن راهويه بإسناد حسن ، وابن حبان في
صحيحه ، وهكذا رواه محمد بن إسحاق في السيرة ، وقال ابن حجر: هذه الطريق حسنة جليلة ، وما
روي في شيء من المسانيد الكبار إلا في مسند إسحاق ، هذا وهو حديث حسن متصل ، ورجاله ثقات
وقال الهيثمي في المجمع: ٢٢٦/٨ رواه البزار ورجاله ثقات . وأخرجه الحاكم في المستدرک: ٢٤٥/٤ .
وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

ففي الشجرة ، فلما جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال: انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه .

قال: فبينما هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به إلى الروم فإن الروم إذا عرفوه بالصفة فيقتلونه ، فالتفت فإذا سبعة قد أقبلوا من الروم ، فاستقبلهم ، فقال: ما جاء بكم ؟ قالوا: جاءنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بعث إليه بأناس ، وإننا قد أخبرنا خبره ، بعثنا إلى طريقك هذا ، فقال: هل خلفكم أحد هو خير منكم ؟

قالوا: إنما اخترنا خيره لك لطريقك هذا ، قال: أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده ؟ قالوا: لا . قال: فبايعوه وأقاموا معه .

قال: أنشدكم الله أيكم وليه ؟ قالوا: أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه (أبا بكر وبلالاً) وزوده الراهب من الكعك والزيت^(١) .

(١) أخرجه الترمذي في المناقب ، باب ما جاء في بدء نبوة النبي ﷺ : ٣٦٢٠ ، وابن أبي شيبة في مصنفه : ١٨٣٩٠ ، وأعلام النبوة للماوردي : ١٥٥-١٥٦ ، وأبو نعيم في الدلائل : ٥١-٥٤ ، والطبري في تاريخه : ٢٧٩-٢٧٧/٢ ، والبيهقي في دلائل النبوة : ٣٠٧-٣١٢/١ والحاكم في المستدرک : ٦١٥/٢ ، والسيرة النبوية ، للذهبي ص : ٢٨ . وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه . وقال الذهبي : أظنه موضوعاً وبعضه باطل . وقال الترمذي : حسن غريب ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وانظر نقد ابن كثير لهذا الحديث في السيرة النبوية له : ٢٤٣/١ ، وقد تكلم عليه الذهبي في السيرة النبوية له ص : ٢٨ . وقال : حديث منكر جداً ، وذكر مجموعة من الأسباب التي توضح قوله هذا . وتكلم عليه شبيها بما قال الذهبي ، ابن سيد الناس في عيون الأثر ص : ٥٥ ، وقال ابن حجر في الإصابة : رجاله ثقات ، وذكر أبي بكر وبلال فيه غير محفوظ ، ونقل الشيخ الألباني تصحيحه عن الجزري ومال إلى تصحيحه في تعليقه على فقه السيرة (ص : ٦٨) ، قلت : وسنده صحيح رجاله ثقات ، وذكر بلال وأبي بكر فيه غلط واضح كما قال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد : (٧٦/١) ولعلها مدرجة فيه ووهم من أحد الرواة كما قال الحافظ ابن حجر .

المبحث الثامن: مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم في حلف الفضول

٣٣- من حديث عبدالرحمن بن عوف قال عليه السلام: شهدت حلف المطيين مع عمومي وأنا غلام ، فما أحب أن لي حمر النعم ، وأني أنكته (١) .

وحلف الفضول هو كما قال محمد بن إسحاق: وتداعت قبائل من قريش إلى حلف ، فاجتمعوا له في دار عبدالله بن جدعان ، لشرفه وسنه .

وكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو عبدالمطلب وبنو أسد بن عبدالعزى ، وزهرة ابن كلاب ، وتيم بن مرة .

فتعاهدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا مظلوماً من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا كانوا معه ، وكانوا على من ظلمه حتى يردوا عليه مظلمته .

فسمت قريشاً ذلك الحلف حلف الفضول «

المبحث التاسع: زواجه من خديجة وبيان عظم منزلتها

٣٤- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: « أن رسول الله ﷺ ذكر خديجة ، وكان أبوها يرغب عن أن يزوجه ، فصنعت طعاماً وشراباً ، فدعت أباهاً وزُمراً من قريش ، فطعموا وشربوا حتى ثملوا ، فقالت خديجة لأبيها: « إن محمد ابن عبدالله يخطبني فزوجني إياه ، فزوجها إياه ، فخلقته ، وألبسته حلة ، وكذلك كانوا يفعلون بالأبءاء ، فلما سرى عنه سكره نظر ، فإذا هو مخلق ، وعليه حلة ، فقال ما شأني ؟ ما هذا ؟ فقالت: زوجتي محمد بن عبدالله ، قال: أزوج يتيم أبي طالب ، لا لعمرى . فقالت خديجة: أما تستحي ، تريد أن تسفه نفسك عند قريش ، تخبر الناس أنك كنت سكران ؟ فلم تزل به حتى رضي(٢) .

٣٥- ويؤيده ما جاء من حديث جابر بن سمره رضي الله عنه بنحو اللفظ

(١) أخرجه أحمد: ١/١٩٠، ١٩٣ ، وأبو يعلى رقم: ٨٤٤ ، ٨٤٥، ٨٤٦ ، والبخاري كما في كشف الأستار: ١٩١٤ ، ٣٣٠٨ . وقال الهيثمي في المجمع: ٨/١٧٢ : رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري ، ورجال حديث عبدالرحمن بن عوف رجال الصحيح « . وقال الشيخ الساعاتي في الفتح الرباني: ٩/٢١ الحديث إسناده صحيح .

(٢) أخرجه أحمد في المسند: ١/٣١٢ والبيهقي في الدلائل: ٢/٧٣ ، مختصراً والطبراني في الكبير رقم: ١٢٨٣٨ . وقال الهيثمي: ٩/٢٢٠ : رواه أحمد ، والطبراني ، ورجال أحمد والطبراني رجال الصحيح .

السابق ببعض زياده (١) .

وهذا يردُّ ما جاء عن المؤملي أن الذي زوج خديجة هو عمها عمرو بن أسد ، لأن المؤملي متروك ، لا يعتد بكلامه ... (٢)

٣٦- وعن الزهري قال : « لم يتزوج رسول الله على خديجة حتى مات » (٣) .

٣٧- وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط ، فقال : (أتدرون ما هذا ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال رسول الله ﷺ : أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ﷺ ، ومريم بنت عمران ، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون) (٤) .

٣٨- ومن حديث علي بن أبي طالب قال عليه السلام : (خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة) (٥)

٣٩- ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : « أتى جبريل عليه السلام النبي فقال : يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ، ولا نصب » (٦) .

(١) أخرجه الطبراني في الكبير برقم : ١٨٥٨ ، والبزار كما في الكشف رقم : ٢٦٥٧ قال الهيثمي في المجمع : ٢٢٢/٩ : أخرجه الطبراني والبزار ، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير أبي خالد الوالي ، وهو ثقة ، ورجال البزار أيضاً رجال الصحيح غير أحمد بن يحيى الصوفي ، وهو ثقة ، لكنه ليس من رجال الصحيح ، وقال ابن حجر : وكذا شيخ الطبراني ، فكان ينبغي أن يقول : ورجالهما رجال الصحيح سوى شيخيهما وأبي خالد الوالي .

(٢) مجمع الزوائد : ٢٢١/٩

(٣) قال الهيثمي في المجمع : ٢٢٠/٩ : رواه الطبراني ورجال رجال الصحيح .

(٤) أخرجه أحمد : ٣١٦/١ ، ٣٢٢ ، والطبراني في الكبير : ١١٩٢٨ ، والحاكم : ١٨٥٣ ، وأبو يعلى في مسنده رقم : ٢٧٢٢ ، وأحمد في فضائل الصحابة : ١٣٣٩ ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصححه الحافظ ابن حجر في الفتح : ١٣٣/٧ . وقال الهيثمي في المجمع : ٢٢١/٩ : رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ، ورجالهم رجال الصحيح .

(٥) رواه البخاري في مناقب الأنصار ، باب تزويج النبي خديجة : ٣٨١٥ ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين : ٢٤٣٠ ، والترمذي في المناقب ، باب خديجة : ٣٨٧٧ ، والنسائي في الكبرى كما في تحفة الأشراف : ٣٩٥/٧ ، وأحمد في المسند : ١١٦/١ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، وفي فضائل الصحابة : ١٥٦٣ .

(٦) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار ، باب تزويج خديجة وفضلها ، فتح الباري رقم : ٣٨٢٠ ، ١٣٣/٧ ، ١٣٤ ، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين : ٢٤٣٢ ، والترمذي في المناقب ، باب فضل خديجة رقم : ٣٨٧٦ ، وأحمد في المسند : ٢٣١/٢ ، والحاكم في المستدرک : ١٨٥/٣ ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي فيه ، وليس الأمر كما قاله ، فقد أخرجه الشيخان كما ترى .

المبحث العاشر

مشاركة الرسول صلى الله عليه وسلم في بناء الكعبة

٤٠- من حديث أبي الطفيل رضي الله عنه قال: « كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرضم ، وكانت قدر ما يفتحها العناقة ، وكانت غير مسقوفة ، إنما توضع ثيابها عليها ثم تسدل سداً عليها ، وكان الركن الأسود موضوعاً على سورها تأدياً ، وكانت ذات ركنين كهياة الحلقة .

فأقبلت سفينة من أرض الروم ، حتى إذا كانوا قريباً من جدة ، تكسرت السفينة ، فخرجت قريش ليأخذوا خشبها ، فوجدوا رومياً عندها ، فأخذوا الخشب أعطاهم إياه .

وكانت السفينة تريد الحبشة ، وكان الرومي الذي في السفينة نجاراً ، فقدموا ، وقدموا بالرومي ، فقالت قريش: نبني بهذا الخشب الذي في السفينة بيت ربنا .

فلما أرادوا هدمه ، إذا هم بحية على سور البيت مثل قطعة الحائر ، سوداء الظهر ، بيضاء البطن ، فجعلت كلما دنا أحد إلى البيت ليهدمه أو يأخذ من حجارتها ، سعت إليه فاتحة فاهها .

فاجتمعت قريش عند المقام ، فعجزوا إلى الله - عز وجل - فقالوا: ربنا لم نترع ، أردنا تشريف بيتك ، فإن كنت ترضى بذلك ، وإلا فافعل ما بدالك .

فسمعوا خواراً في السماء ، فإذا بطائر أسود الظهر ، أبيض البطن والرجلين ، أعظم من البشر ، فغرز مخاليبه في رأس الحية ، حتى انطلق بها يجر ذنبها ، أعظم من كذا وكذا ساقطاً ، فانطلق نحو أجساد ، فهدمتها قريش ، وجعلوا يبنونها بحجارة الوادي تحملها قريش على رقابها ، فرفعوها في السماء عشرين ذراعاً .

فبينما النبي ﷺ يحمل حجارة من أجساد ، وعليه نمرة ، فضاعت عليه النمرة ، فذهب يضع النمرة على عاتقه ، فثرى عورته من صغر النمرة ، فنودي يا محمد ، خمر عورتك ، فلم ير عرياناً بعد ذلك ، وكان يرى بين بناء الكعبة وبين ما أنزل عليه خمس سنين ، وبين مخرجه وبينائها خمس عشرة سنة ^(١) .

(١) أخرجه الطبراني في الكبير بطوله ، وأحمد طرفاً منه ، ورجالهما رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع: ٢٨٩/٣ . انظر المطالب العالية: ١٨٢/٤ برقم: ٤٢٦٦ ، والفتح الرباني: ١٩٨/٢٠ - ١٩٩ والرضم: الصخور ، والنمرة: الكساء المخطط .

٤١- من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: « إن رسول الله ﷺ كان ينقل معهم الحجارة للكعبة وعليه إزاره ، فقال له العباس عمه: يا ابن أخي، لو حلتلت إزارك ، فجعلته على منكبك ، دون الحجارة؛ قال: فحلّه ، فجعله على منكبه ، قال: فسقط مغشياً عليه ، فما روي بعد ذلك اليوم عرياناً » ^(١).

المبحث الحادي عشر

تحكيم قریش الرسول صلى الله عليه وسلم في رفع الحجر

٤٢- من حديث عليّ قال: « لما أرادوا أن يرفعوا الحجر » يعني قریشاً « اختصموا فيه ، فقالوا: يحكم بيننا أول رجل يخرج من هذه السكة ، قال: وكان رسول الله ﷺ أول من خرج عليهم ، فجعلوه في مرط ، ثم رفعه جميع القبائل كلها ، ورسول الله يومئذ رجل شاب يعني قبل البعثة » وفي رواية قال: « لما رأوا النبي ﷺ قد دخل قالوا: قد جاء الأمين » ^(٢).

المبحث الثاني عشر: تسليم الحجر عليه قبل النبوة

٤٦- من حديث جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ « إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن » ^(٣).

(١) أخرجه البخاري في الصلاة ، باب كراهية التعري في الصلاة وغيرها ، حديث: ٣٦٤ ، وفي الحج باب فضل مكة وبيانها حديث: ١٥٨٢ ، وفي مناقب الأنصار ، باب بيان الكعبة حديث: ٣٨٢٩ ، ومسلم في الحيض ، باب الاعتناء بحفظ العورة حديث: ٣٤٠ ، وأحمد في المسند: ٣/٣١٠-٣١٣ كلهم من طريق عمرو بن دينار عن جابر .

(٢) المطالب العالية رقم: ٤٢٦٧ ، وفي مجمع الزوائد: ٨/٢٢٩ ، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط ، ورجاله رجال الصحيح ، عمير بن حفص بن عمر الضريّر ، وخالد بن عرعرة كلاهما ثقة . ويشهد له حديث السائب بن عبد الله عند أحمد: ٣/٤٢٥ ، وقال الهيثمي فيه: ٣/٢٩١، ٢٩٢ « رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح ، غير هلال بن خباب ، وهو ثقة وفيه كلام » ورواه أيضاً الحاكم ، وصححه على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي .

(٣) رواه مسلم في الصحيح ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ، وتسليم الحجر عليه قبل النبوة رقم: ٢٢٧٧ .